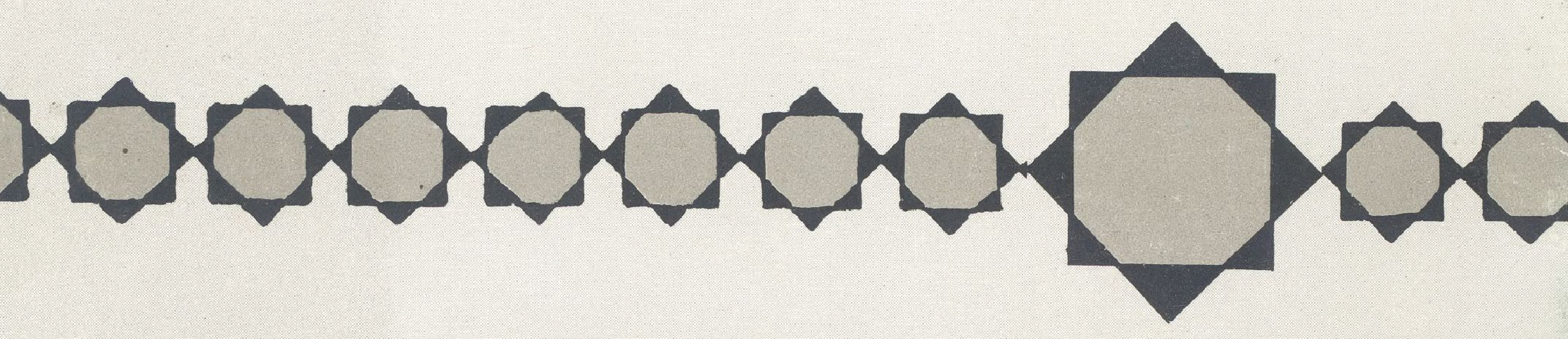
عبد العزيز الشناوي



عثمان بن عفان

« لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِي الجَنَّةِ ،
وَرَفِيقِي فِيهَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ »
حديث نبوى شريف



دار الفكر العربى

عثمان بن عفان

« لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِى الجَنَّةِ ،
وَرَفِيقِى فِيهَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانٍ »

حديث نبوى شريف

عبد العزيز الشناوى

ملتزم للطبع والنشر
دار الفكر العربى
الإدارة : ١١ ش جواد حسنى ـ القاهرة
ص ب ١٢٠ ت ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة :

الحـديث عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثرى بكل ما هـو جليل وجميل •• وقـد يكون هـذا الثراء نفسه سببا للامساك عن التفصيل الطـويل فى ذكر شمائل هـذه الفئة من المؤمنين الذين صـدقوا ما عاهـدوا الله عليه ، الامساك مهـابة وتوقيرا واحتراما ••

وهـذا واحـد منهم : عثمان بن عفان رضى الله عنه •• رجـل تستحى منه الملائكة •• ذو النورين الذى نال شرف مصاهرة النبى صلى الله عليه وسلم مرتين •• ثم •• اشترى الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين •

كيـــف ؟

هـذه ملامح من حياته ومواقف من سلوكه •• تفصح هـذه الصفحات عمـا ينبغى أن تعـرفه من شمائل ثالث الخلفاء الراشدين ••

لعل فى هـذه اللمحات ما ينير الطريق لمن كان لـه قلب أو ألقى السمع وهـو شـهيد ••

النـاشر

رجــل تستحى منه الملائكة

تقول أم المؤمنين عائشة :

ــ إن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخـل عثمان وقال : ألا أستحى من رجـل تستحى منه الملائكة ؟

رجـل اشترى من النبى عليه الصلاة والسلام الجنة مرتين ، حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة (غزوة تبـوك) ..
رجـل رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ...

يقول النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ لكل نبى رفيق فى الجنـة ورفيقى فيها عثمان بن عفان .

رجـل تزوج بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم ، ولم يعرف أحـد تزوج بنتى نبى غيره ، ولذلك سمى ذا النورين .

رجـل سئل عن فضله الإمام على فقال :
ــ ذاك امرؤ يدعى فى المـلأ الأعلى ذا النورين .
أول رجـل هاجر هـو وأهله ...

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ــ إن عثمان أول من هاجر بأهله بعـد نبى الله لوط عليه السلام .

اســمه ولقبــه :

هـو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى الأموى .
أبو عمرو . أبو عبد الله . أبو ليلى .

ولـد عثمان بن عفان في السنة السادسة من عام الفيل ، ونشأ في بيت الترف والعز ، فلما بلغ أشـده خرج مـع قوافل قـومه إلى اليمن والشام • وأصبح عثمان بزازا يعمل في التجارة • وكان عثمان مشتهرا بالحياء وكان وضيئا حسن جميلا أبيض مشربا صفرة ، جعد الشعر لـه جمـة أسفل من أذنيه جـذل الساقين طـويل الذراعين أقنى بين القنـا •

وذات يوم كان بفناء الكعبة فقيل له :

ـ إن محمدا قـد أنكح عتبة بن أبى لهب رقية ابنته ••

وكانت رقية ذات جمال بارع • فلما سمع عثمان ذلك دخلته حسرة وقال في نفسـه :

ـ ألا أكون سبقت إليها ؟

ولم يلبث أن انصرف إلى منزله فوجـد خالته سعدى بنت كرز بن ربيعة ابن عبد شمس العبشمية (أمه أروى بنت كرز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب) قاعـدة مـع أهله (وكانت سعدى قـد طرقت وتكهنت لقومها) فلما رأته قالت :

أبشر وحييت ثلاثا وتـــرا ثم ثـلاثا وثـلاثا أخـرى
ثم بأخـــرى كى تتم عشرا لقيت خـيرا ووقيت شـرا
نكحت والله حصـانا زهـــرا وأنت بكـــر ولقيت بكـــرا

فتعجب عثمان بن عفان من قولها وتساءل :

ـ يا خالـة ما تقـولين ؟

قالت سـعدى بنت كرز :

عثمـان يا عثمـان يا عثمـان لك الجمــال ولك الشــان
هـذا نبى معـه البرهـــان أرسـله بحقـه الديـان
وجـــاءه التنزيل والفرقـــان فاتبعـه لا تغيـا بك الأوثان

وربا عجب عثمان بن عفان فقالت خالته سعدى :

ـ إن محمد بن عبد الله رسول الله جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله مصباحه مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، لقرنه نطاح ، ذلت لـه البطاح ، وما ينفع الصياح لو وقع الرياح وسلت الصفاح ومدت الزمـاح •

ثم انصرفت خالته سعدى بنت كرز ولكن كلامها وقع فى قلبه وبقى مفكرا فيه • وكان له مجلس من عبد الله بن أبى قحافة (أبى بكر) فأتاه بعد يوم الاثنين فأصابه فى مجلسه ولا أحد عنده فجلس إليه فرآه متفكرا شاردا فسأله :

ـ مابك ؟

وكان أبو بكر رجلا رقيقا مؤلفا لقومه • فأخبره عثمان بن عفان بما سمعه من خالته سعدى بنت كرز فقال له أبو بكر :

ـ ويحك يا عثمان ، والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل •

هـذه الأوثان التى يعبدها قومك أليست حجارة صما لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟

قال عثمان بن عفان :

ـ بلى والله إنها لكذلك ••

قال أبو بكر :

ـ والله لقد صدقت خالتك ، هـذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه ؟

قال عثمان بن عفان : نعم •

ومر محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه على بن أبى طالب يحمل ثوبا للنبى عليه الصلاة والسلام ، فلما رآه أبو بكر قام إليه فساره فى أذنه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل على فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ يا عثمان أجب الله إلى جنته فإنى رسول الله إليك وإلى جميع خلقه •

يقـــول عثمان بن عفـــان :

ـ فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحــده لا شريك لـــه وأن محمدا عبده ورسوله ••

ورجع عثمان بن عفان إلى منزله كأنما قــد ذهب عنه كل قلقـــه وحزنه ، ونزلت على صــدره سكينة وتهلل بفرح فياض ونشوة روحية تفــوق لذات الأرض جميعا •

ولمـــا علمت أم جميل زوجة أبى لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قــد بعث محمدا عليه الصلاة والسلام رسولا نبيا أكل الحقــد صدر المرأة العوراء ، ونهش الحسد قلب أبى لهب ، فكيف يستأثر ابن أخيه بالسيادة والغنى والشرف دونه ؟ فراحا يفكران فى التصـــدى لمحمد صلى الله عليـــه وسلم • وكان عتبة بن أبى لهب قـــد تزوج رقية بنت محمد قبـــل النبوة فلمـــا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت رقية مـــع أمها وأخواتها •• اشتد حقـــد أم جميل وزوجها أبى لهب لمـــا نزل قوله تعالى : (**تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد**) فسخر الناس من أبى لهب بمـــا أنزل فى شأنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى غضب :

ـ سوف يرى محمد أية كارثة تحيق به على يدى •

ثم دعا ابنه عتبة وكان متزوجا من رقية وابنه عتيبة وكان متزوجا من أختها أم كلثوم فأوغر صـــدريهما وقال لهما :

ـ رأسى من رأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتيه ••

ففارق عتبة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن دخل بها • فتقـــدم عثمان بن عفـــان وطلبها من النبى عليه الصلاة والسلام ••فزوجها له •

ولمـــا علم الحكم بن أبى العاص بن أمية عم عثمان أنه قـــد أسلم أخـــذه فأوثقـــه رباطا وقال له :

ـ ترغب عن ملة آبائك إلى دين محـــدث ؟ والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليـــه •

فقـــال عثمان بن عفـــان :

ـ والله لا أدعـــه أبدا ولا أفارقـــه ..

فلمـــا رأى الحكم بن أبى العاص صلابته فى دينه تركه .

وقالت سعدى بنت كرز فى إسلام عثمان ابن أختها :

هدى الله عثمان الصفى بقوله   فأرشده والله يهدى إلى الحق
فتابع بالرأى السديد محمـــدا   وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحـــدى بناته   فكان كبدر مازج الشمس فى الأفق
فـــداؤك يا ابن الهاشميين مهجتى   فأنت أمين الله أرسلت فى الخلق

وكان يقـــال :

ـ أحسن زوجين رآهمـــا إنسان : رقية وعثمان ..

يقـــول أســـامة بن زيد :

ـ بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصحفة فيهـــا لحم فدخلت فإذا رقية رضى الله عنها جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجـــه رقية ومرة أنظر إلى وجـــه عثمان فلمـــا رجعت سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت عليهما ؟ قلت : نعم . قال : فهل رأيت زوجـــا أحسن منهما ؟ قلت : لا يا رسول الله .

وبعث النبى عليه الصلاة والسلام مع رجل بإصف (اليسير من الطعام) إلى عثمان فاحتبس الرجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ ما حبسك ؟ ألا كنت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما ؟

فقال الرجـــل : نعم يا نبى الله .

ولقى أبو جهل عثمان بن عفـــان فقال له :

ـ ألم يجـــد الله غير يتيم قريش فيبعثه نبيا كما يزعم ؟

فقـــال عثمان بن عفـــان :

ـ « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم » ؟

قـال أبو جهـل :
ـ لقـد جاء لنعبد إلها واحـدا ونذر ما كان يعبد آباؤنا اللات والعزى وهبل ومنـاة و ٠٠ ؟

فقـال عثمان بن عفـان :
ـ « أتجادلون فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » ؟

قال أبو جهـل بن هشام ؟
ـ إنها تقربنا إلى الله زلفى .

هجرته إلى الحبشة ٠٠ وأول من هاجر :

على الرغم من شرف عثمان بن عفان فى قومه فقـد نال من الأذى والعذاب فى سبيل الله الكثير فقـد وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ليفتنوهم عن دينهم ، ومنع الله عز وجـل نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب ، وكان أبو جهل بن هشام يغرى بالمسلمين فى رجال من قريش إن سمع برجـل تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال :

ـ تركت دين أبيك وهـو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن (نخطئن) رأيك ولنضعن شرفك .

وإن كان تاجرا قال لـه أبو جهل :
ـ والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك .

وإن كان ضعيفا ضربه أبو جهل وأغرى به ٠٠

وكان أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ما بين مكروب ومشجوج فيدعو ويقـول :
ـ اصـبروا .

ونفـد صبر بعضهم فجاءت جماعة منهم : عبد الرحمن بن عوف والمقـداد ابن عمرو وقـدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص وقـد نزل بهم أذى كبير فقالـوا :

ـ يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا ضربنا وأوذينا فأذن لنـا فى قتـال هـؤلاء ٠٠

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ كفـوا أيديكم عنهم •

واشتدت عـداوة قريش للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأنزلوا بهم أشد العـذاب فجاءه عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا :

ـ يا رسول الله لقـد ضقنا باضطهاد قـومنا وأذاهم بمـا يصبون فى آذاننا من قـذع السباب وفحش القول •

فتغير وجه النبى عليه الصلاة والسلام وأخذ ينظر إلى ابنته وزوجها فى رثاء وإشفاق •

وأقبل عامر بن ربيعة وزوجته ليلى بنت أبى حثمة يشكوان ما يلاقيـان من اضطهاد عمر بن الخطاب • وجاء أبو سلمة المخزومى وزوجته أم سلمة (هند بنت أبى أميه بن المغيرة) وفى أعينهما الدمع ممـا قاسيا من عـذاب على أيدى بنى مخزوم • فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ثم رفـع رأسـه وقال :

ـ من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب لـه الجنة ، وكان رفيق أبيه إبراهيم خليل الله ونبيه محمد •

فقال عثمان بن مظعون (أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة) :

ـ أين نذهب يا رسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ تفرقوا فى الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم •

فتساءل عثمان بن مظعـون :

ـ إلى أين نذهب يا نبى الله ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أخرجوا إلى جهة الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحـد وهى أرض صـدق •

قال الزبير بن العـوام :

ـ ومتى نعـود إلى مكة يا رسول الله ؟

قال النبى عليـه الصلاة والسلام :

ـ عندما يجعل الله لكم فرجا ممـا أنتم فيه .

وأمر النبى عليه الصلاة والسلام على المهاجرين إلى الحبشة عثمان بن مظعون وقال صلى الله عليه وسلم :

ـ ارجعـوا إليه فى شئونكم ويكون قوله إذا تحزبت الأمور .

وفى شهر رجب كان أول من خرج من المسلمين مهاجراً إلى الحبشة عثمان ابن عفـان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم أبو حـذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهلة بنت سهيل والزبير بن العـوام ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عـوف وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى وامرأته أم سلمة وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى حثمة وأبو سبرة بن أبى رهم وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء وعبد الله ابن مسعود . كانوا أحـد عشر رجلا وأربع نسـوة . وكانت أول هجـرة فى الإسـلام .

وانتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة . ولمـا بلغ ذلك مسامع قريش خرجوا فى آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركـوهم .

وأبطـأ على النبى عليه الصلاة والسلام خبر عثمان بن عفـان وابنته رقية . فقـدمت امرأة من قريش وقالت :

ـ يا محمد رأيت ختنك (صهرك) ومعه امرأته ..

فتساءل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ على أى حـال رأيتيهما ؟

قالت المــرأة :

ــ رأيته قــد حمل امرأته على حمار من هــذه الدبابة (الضعيفة التى تدب فى المشى) وهــو يسوقها •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ صحبهما الله •• إن عثمان أول من هاجر بأهله بعــد لوط عليه السلام •

ورجع مهاجرو الحبشة إلى مكة لمــا علموا أن عمر بن الخطاب قــد أسلم وأن أصحاب رسول الله لم يعبدوا الله سرا بل يصلون ويقرأون القرآن فى البيت الحرام مطمئنين آمنين ، وأن قريشا قــد آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم • ولكن عندما دخلوا مكة أدركوا أنهم عجلوا فقــد نصبت لهم قريش شباكا وأنزلت بهم عــذابا أليما إلا من حظى بجوار •

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض بالمــال والعشيرة فآخى بينهم على الحق والمساواة ، فآخى بين أبى بكر وعمر بن الخطاب ، وآخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن محمد ، وبين عثمان بن عفــان وعبد الرحمن بن عــوف ، وبين الزبير بن العــوام وعبد الله ابن مسعود ، وبين عبادة بن الحارث وبلال بن رباح ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حــذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين على بن أبى طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم •• وقال ••

ــ أما ترضى أن أكــون أخــاك ؟

فقــال على فى ابتهــاج :

ــ بلى يا رسول الله رضيت ••

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ فأنت أخى فى الدنيــا والآخرة ••

وأقبلت القبائل إلى الحرم لتؤدى مناسك الحج • فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق ذى المجاز وقال :

ــ يا أيها النــاس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا •

فلما رأى أبو لهب الناس قد اجتمعوا إليه عليه الصلاة والسلام أقبل من ورائه وقال :

ـ إنه صابىء كاذب .. يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

فقال ربيعة بن عباد :

ـ من هذا الرجل الوضيء الأحول ذو الغديرتين

قال رجال من قريش :

ـ إنه أبو عتبة عمه ...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب ..

قال أبو لهب : لا تطيعوه إنه كذاب .

فقال الناس : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا ..

واستفحلت العداوة بين قريش وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فذهب أتباع النبى عليه الصلاة والسلام إليه يستأذنونه فى الهجرة إلى الحبشة . فأذن لهم . فقال عثمان بن عفان :

ـ يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى الحبشة ولست معنا ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ أنتم مهاجرون إلى الله وإلى ، لكم هاتان الهجرتان جميعا ..

فقال عثمان بن عفان : فحسبنا يا رسول الله ..

ووجد المهاجرون الأمن والأمان فى الحبشة وعبدوا الله آمنين مطمئنين . وكان عثمان بن عفان يعمل بالتجارة بين الحبشة واليمن . وأسقطت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقطا .. ثم ولدت ولدا ففرح عثمان وقال :

ـ عبد الله .

وكان عثمان يكنى به فلما بلغ سنتين نقر عبد الله ديك فى وجهه فطمر وجهه فمات • ولم تلد رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا بعد ذلك •

وبينما كان عثمان بن عفان فى سوق نجران علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعه الأنصار فرجع إلى الحبشة وأخبر المهاجرين بما علم من المسلمين الذين خرجوا فى قوافل قومهم إلى اليمن •

ورجع عثمان ورقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وكثير من مهاجرى الحبشة إلى أم القرى •

ثم هاجر عثمان وزوجته رقية إلى يثرب •

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت الأنصارى أخى حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

جهاده فى سبيل الله :

مرضت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصبة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر أذن لعثمان بن عفان بالتخلف •• وماتت رقية يوم ورد البشير (زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة) إلى المدينة بنصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهزيمة قريش فى تلك الواقعة الحاسمة (وقيل إن عثمان أصيب بالجدرى قبل أن يخرج النبى عليه الصلاة والسلام إلى بدر فحال مرضه ومرض امرأته دون الخروج إليها مع بعض الصحابة) •

وجاء بعض الأنصار وقد لاح فى وجوههم الأسى والحزن لأنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلقى حربا وزاد فى حزنهم أن بنت سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ماتت دون أن يراها النبى عليه الصلاة والسلام •

ونزل عثمان بن عفان حفرة زوجته • ولما سوى التراب عليها قدم النبى عليه الصلاة والسلام من بدر فوقف على قبرها وقال :

ـ الحقى بسلفنا عثمان بن مظعون ••

كانت غبطة عثمان بن عفان بمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمة ، ولكنه أصبح حزينا لانقطاع هذه الصلة فلم يبد بعد ذلك إلا مهموما محزونا لفقد زوجته الطاهرة وانقطاع صلاته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآه النبى عليه الصلاة والسلام حزينا فقال له :

ــ ما لى أراك مهمــوما ؟

فقال عثمان بن عفــان فى أسى :

ــ وهل دخل على أحــد ما دخل على يا رسول الله ؟ ماتت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت عندى وانقطع ظهرى وانقطع الصهر بينى وبينك ..

فطيب نبى الرحمة خاطره وزوجه ابنته أم كلثوم .. فسمى بذى النورين (لأنه تزوج من رقية وأم كلثوم بنتى النبى عليه الصلاة والسلام . ولم يعلم أحــد تزوج بنتى نبى غيره . ويقال إنه سمى بذى النورين لأن النبى عليــه الصلاة والسلام قال فيه أنه نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض . ويقال إنه كان يختم القرآن كل ليلة فى صلاته فالقرآن نور وقيام الليل نور) .

وشكا المهاجرون تغير المــاء بالمدينة ولم يجــدوا فيها غير بئر واحــدة يستسيغون ماءها وكانت عند يهودى يغالى بثمنها فقــد كان يبيع قربة المــاء بمــد (مكيال من تمر أو شعير) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ــ من يشترى بئر رومة فيجعلها صدقة للمسلمين سقاه الله يوم القيامة من العطش .

فلما سمع عثمان بن عفــان قول النبى عليه الصلاة والسلام انطلق إلى اليهودى يساومه على شراء البئر ولكن اليهودى قال :

ــ ليس لى ولعيالى غيرها ولا أستطيع ..

فقال عثمان بن عفــان : لا تبعها كلها ..

فتساءل اليهودى : أتريد أن تشترى نصفها ؟

فقال عثمان بن عفــان : نعم .

فقال اليهودى : أريد خمسة عشر ألف درهم ..

فدفع له ذو النورين عشرة آلاف درهم واتفق مــع اليهودى على أن تكون البئر يوما لــه ويوما لليهــودى . فأباح عثمان بن عفــان المســقيا

منها بغير ثمن فى يومه فكان المسلمون يأخذون منه كفايتهم فى ذلك اليوم ٠
ونظر اليهودى فرأى أنه لا ينتفع من نصفه الباقى له بكثير أو قليل فقال لعثمان :
ــ أفسدت على بئرى فاشتر النصف الآخر ٠٠

فدفع له ذو النورين ثمانية آلاف درهم ٠٠ ووهب البئر لمن يستقى منها جميع الأيام ٠

وشهد عثمان بن عفان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أحد (ولكنه فر مع الذين انكشفوا) ٠

لما كان الغد من يوم الأحد (كان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من أحد يوم السبت يوم الوقعة) أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

ــ لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس ٠

فخرج ليظن الكفار به قوة وخرج مع النبى عليه الصلاة والسلام جماعة جرحى يحملون أنفسهم وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد (هى من المدينة على سبعة أميال) فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ومر بالنبى عليه الصلاة والسلام معبد الخزاعى (وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان معبد مشركا فقال :
ــ يا محمد لقد عز علينا ما أصابك ٠٠

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى النبى عليه الصلاة والسلام ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى معبد الخزاعى أبا سفيان أسرع أبو سفيان وتساءل :
ــ ما وراءك ؟

قال معبد الخزاعى :
ــ محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا ولم ترحل حتى ترى نواصى الخيل ٠٠

فقال أبو سفيان :
ــ فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم ٠

فقال معبد الخزاعى : إنى أنهاك عن هـذا ..

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومر أبو سـفيان بركب من عبد قيس فقـال لهم :

ـ بلغوا محمدا رسالة وأحمل لكم إبلكم هـذه زبيبا بعكاظ .

قالـوا : نعم .

قال أبو سفيان بن حرب :

ـ أخبروه أنا قـد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم .

فمروا بالنبى عليه الصلاة والسلام وهـو بحمراء الأسد فأخبروه فقال صلى الله عليه وسلم :

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم عاد إلى المدينة وظفر فى طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص وبأبى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وكان قـد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد فساروا وتركوه نائما (كان أبو عزة قـد أسر يوم بدر وأطلقه النبى عليه الصلاة والسلام بغير فـداء لأنه شكا إليه فقرا وكثرة عيال (خمس بنات) فأخـذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله ولكنه خرج إلى تهامة ودعا بنى كنانة لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج مع قريش وأحابيشها يوم أحـد فلما أتى به النبى عليه الصلاة والسلام قال أبو عزة :

ـ يا محمد امنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهدا الا اعود لمثل ما فعلت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ لا والله لا تمسح عارضيك بمكة فى الحجر وتقول : خـدعت محمدا مرتين المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .. اضرب عنقه يا زبير ..

فضرب الزبير بن العـوام عنق أبى عزة ورفع رأسه على رمح ليكون أول رأس حمل فى الإسلام ..

أما معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية (هـو الذى جـدع أنف

حمزة بن عبد المطلب ومثل به مسح من مثل به) فكان قد أخطأ الطريق فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان :
ـ أهلكتنى وأهلكت نفسك ..

فقال معاوية بن المغيرة :
ـ أنت أقرب منى رحما وقد جئتك لتجيرنى .

فأدخله عثمان بن عفان داره وقصد النبى عليه الصلاة والسلام ليشفع فيه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ـ إن معاوية بالمدينة فاطلبوه .

فأخرجوه من دار عثمان بن عفان وانطلقوا به إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال عثمان :
ـ والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له أمانا فهبه لى .

فوهبه له وآجله ثلاثة أيام وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه . فجهزه عثمان ابن عفان وقال له :
ـ ارتحل .

وسار النبى عليه الصلاة والسلام إلى حمراء الأسد وأقام معاوية بن المغيرة ليعرف أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان اليوم الرابع قال النبى عليه الصلاة والسلام :
ـ إن معاوية أصبح قريبا ولم يبعد فاطلبوه ..

فطلبه زيد بن محمد وعمار بن ياسر فأدركاه بالحماة فقتلاه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب عثمان فقد كان حديثه بعيدا عن اللغو والثرثرة وكان النبى عليه الصلاة والسلام يتوق إلى أحاديثه فى بعض أوقاته .. فذات يوم قال لعائشة :
ـ لو كان معنا من يحدثنا ؟

فقالت أم المؤمنين عائشة : يا رسول الله أفأبعث إلى أبى بكر ؟

فسكت .. فقالت عائشة : أفأبعث إلى عمر ؟

فسكت .. ثم دعا وصيفا بين يديه فسارّه فذهب ، فإذا عثمان يستأذن ، فأذن له فدخل فناجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا .

وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت ابنته أم كلثوم فنظر إلى ذى النورين وقال لابنته :

ــ ان بعلك أشبه بجدك إبراهيم وأبيك محمد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عن عثمان :

وشهد ذو النورين غزوة الخندق ، ويوم الحديبية أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عمر بن الخطاب إلى مكة ليخبر سادات قريش أن النبى عليه الصلاة وسلام لم يأت لحرب ولكن جاء هو ومن معه ليعتمروا ويعظموا المسجد الحرام (كان عمر بن الخطاب سفير قريش فى الجاهلية) فقال عمر :

ــ يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها فلو بعثت يا رسول الله عثمان إليهم فهو بينهم أعز منى .

كان بنو أمية بنى عم عثمان بن عفان ، وكانت لهم الكلمة العليا والسلطان فى مكة ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى سادات قريش ليخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأت لحرب ، إنه أتى زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته .. فانطلق عثمان إلى مكة ولم يمنعه شرفه أن يسلم من ألسنة السفهاء وأيديهم فبطشوا به لولا أن تصدى لهم ابن عمه أبان بن سعيد بن العاص وأجاره ، وانقطع خبر عثمان فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ قد خلص عثمان إلى البيت فطاف به دوننا .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون .

فقالوا :

ــ وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ ذلك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف ، لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف به حتى أطوف .

وطلب أبان بن سعيد من عثمان بن عفان أن يطوف بالبيت فقال ذو النورين :

ــ ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا تحت شجرة الطلح ، وإذا برجل جاء إليه يسعى ويقول :

ــ قتل عثمان بن عفان .

فهب النبى عليه الصلاة والسلام واقفا ، لقد حبسه رجال قريش ثلاثة أيام يتشاورون فى أمره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ إن الله أمرنى بالبيعة .

وبينما الناس جلوس قائلون إذ نادى عمر بن الخطاب :

ــ أيها الناس البيعة نزل بها روح القدس فاخرجوا على اسم الله .

فسار الناس إلى النبى عليه الصلاة والسلام وكان أول من بايع أبو سنان الأسدى فوضع يده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

ــ أبايعك على ما فى نفسك .

فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام : وما فى نفسى ؟.

قال أبو سنان الأسدى :

ــ أضرب بسيفك بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل .

وصار الناس يقولون للنبى عليه الصلاة والسلام وهم يبايعونه تحت الشجرة :

ــ نبايعك على ما بايعك عليه أبو سنان .

وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على ألا يفروا ، فكانت بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة .

وبايع النبى عليه الصلاة والسلام عن عثمان بن عفـان فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال :
ـ اللهم إن عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ لن يلج النار أحـد شهد بدرا (لم يشهد عثمان بن عفـان بدرا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ارجع وضرب له بسهمه وأجره فهـو معـدود من البدريين) والحـديبية .

ولمـا بلغ قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد بايعوه على قتال أهل مكة يومئذ . فخافوا وبعثوا سهيل بن عمرو ليكتب صلحا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وجاء عثمان إلى الحـديبية ففرح المسلمون عندما رأوه وأدركوا أن ما جاء به الرجل إنما هـو خبر كاذب . واسـتقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم عثمان بن عفان بالترحاب وسألوه :
ـ طفت بالبيت ؟

فقـال عثمان فى عتـاب :
ـ بئسما ظننتم بى دعتنى قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأنزل الله تعالى : (لقـــد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعـونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل سكينته عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

ولمـا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كراع الغميم أنزل الله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقـدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهـديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا) .

فتساءل عمـر بن الخطاب : أو فتح هـو يا رسول الله ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم والذى نفسى بيده إنه فتح ..

وقال بعض المسلمين : ما هو بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ بئس الكلام ، بل هـو أعظم الفتح . لقـد رضى المشركون أن يدفعـوكم بالبراح عن بلادهم وسألوكم القضية ويريحوا إليكم فى الأمان ، وقـد رأوا منكم ما كرهـوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله سالمين مأجورين فهو أعظم الفتح . أنسيتم يوم أحـد إذ تصعدون ولا تلوون على أحـد ، وأنا أدعوكم فى أخراكم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟

فقال المسلمون : صدق الله رسوله فهو أعظم الفتح .

ورجع النبى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة .

عثمان يكتب الوحى والنبى يبشره بالجنة :

وكان عثمان بن عفـان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى عند نزوله وكان النبى عليه الصلاة والسلام يناديه متحببا ويقول له وهـو يملى عليـه :

ـ اكتب يا عثيم ..

وشهد ذو النورين مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر . ولمـا خرج النبى عليه الصلاة والسلام لمحاربة بنى محارب (غزوة ذات الرقاع أو غزوة الأعاجيب ـ لمـا وقع فيها من الأمور المعجبية) استخلف عثمان بن عفان على المدينـة .

ولمـا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيد فى مسجده فقال :

ـ من يزيد فى مسجدنا ؟

فلم ينتظر ذو النورين واشترى موضع خمس سوار فزاد فى المسجد فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ إن أشد هـذه الأمة بعـد نبيها حياء عثمان .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته أم كلثوم فقال لها

ـ أكرمية (عثمان بن عفان) فإنه من أشبه أصحابى بى خلقا .

وخرج عثمان بن عفان مع النبى عليه الصلاة والسلام وشهد عمرة القضاء .

يقول أبو موسى الأشعرى (عبد الله بن قيس) :

ـ كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديقة بنى فلان والباب علينا مغلق إذ استفتح رجل فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ يا عبد الله بن قيس قم فافتح له الباب وبشره بالجنة .

فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بأبى بكر الصديق فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ودخل فسلم وقعد وأغلقت الباب ، فجعل النبى عليه الصلاة والسلام ينكت بعود فى الأرض فاستفتح رجل آخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ يا عبد الله بن قيس قم فافتح له الباب وبشره بالجنة .

فقمت وفتحت الباب فإذا أنا بعمر بن الخطاب فأخبرته بما قال النبى عليه الصلاة والسلام فحمد الله ودخل فسلم وقعد وأغلقت الباب فجعل النبى عليه الصلاة والسلام ينكت بذلك العود فى الأرض إذ استفتح ثالث الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ يا عبد الله بن قيس قم فافتح الباب وبشره بالجنة على بلوى تكون .

فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بعثمان بن عفان فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عثمان :

ـ إنه المستعان وعليه التكلان .

ثم دخل فسلم وقعد .

يوم فتح مكة :

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرى رأى فى الكعبة صور الملائكة وصور إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام يستقسمان وصور الأنبياء وصورة مريم ؛ فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان أن يقدما إلى البيت ليمحوا كل صورة فيه ، ومحيت الصور وبقيت صورة إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وعثمان :

ـ ألم آمر ألا تترك فيها صورة ؟ قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) •

ودعا النبى عليه الصلاة والسلام بدلو به ماء فأتاه أسامة بن زيد فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها • وتعلق بأستار الكعبة رجال قد أهدر النبى عليه الصلاة والسلام دماءهم منهم : عبد الله بن أبى سرح فقد كان مسلما قبل الفتح ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما ، وإذا أملى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال :

ـ إن محمدا لا يعلم ما يقول •

فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب إلى مكة (وقيل إنه لما كتب « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » إلى قوله تعالى: « ثم أنشأناه خلقا آخر » تعجب من تفصيل خلق الإنسان فنطق بقوله : « فتبارك الله أحسن الخالقين » قبل إملائه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب ذلك • هكذا أنزلت • فقال عبد الله بن أبى سرح : إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلى •• فارتد ولحق بمكة ، فقال لأشراف قريش : إنى كنت أصرف محمدا كيف شئت كان يملى على عزيز حكيم فأقول : أو عليم حكيم فيقول : نعم كل صواب ، وكل ما أقوله يقول : اكتب هكذا نزلت) •

ولما علم عبد الله بن أبى سرح باهدار دمه لجأ إلى ذى النورين أخيه من الرضاعة فقال له :

ـ يا أخي استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي •

فغيبه عثمان بن عفان حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له •• ثم أتى عبد الله بن أبى سرح مع عثمان بن عفان فأعرض النبى عليه الصلاة والسلام عن عبد الله فصار عثمان يقول :

ـ يا رسول الله أمنته • ـ

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه •• ثم قال : نعم •

فبسط يده فبايعه . فلما خرج عثمان وعبد الله قال النبي عليه الصلاة والسلام :
ـ أعرضت عنه مرارا ليقوم إليه بعضكم ليضرب عنقه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر (وكان نذر إن رأى عبد الله بن أبى سرح قتله . أى وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبى عليه الصلاة والسلام يشير إليه أن يقتله) :
ـ انتظرتك أن تفى بنذرك . .

قال عباد بن بشر :
ـ يا رسول الله خفتك أفلا أومضت إلى ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ إنه ليس لنبى أن يومض . الإيماء خيانة ليس لنبى أن يومى . لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين . (الإيماء بالعيون : أى يومى بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو اللمز هذا) .

وصار عبد الله بن أبى سرح يستحى من مقابلة النبى عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان :
ـ أما بايعته وأمنته ؟

فقال ذو النورين : بلى ، ولكن يذكر جرمه القديم فيستحى منك ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : الإسلام يجب ما قبله .

وأخبر عثمان بن عفان أخاه عبد الله بن أبى سرح بذلك ومع ذلك صار إذا جاء جماعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجىء معهم ولا يجىء إليه بمفرده .

يقول عبد الله بن عباس :

ـ نزل قوله تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) فى عشرة هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود .

غــزوة تبــوك :

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم قــد جمعت له وأن بنى الأصفر أرادوا غزو المدينة فأعلن النبى عليه الصلاة والسلام أنه يريد الروم .

وأخــذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض أهــل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله فبادر كبــار المسلمين ببذل أموالهم فى سبيل الله وكان عثمان بن عفان من أيسرهم حالا فقام وقال :

ـ يا رسول الله علىَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ..

ثم حث النبى عليه الصلاة والسلام على النفقة على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان وقال :

ـ يا رسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله .

ثم حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على النفقة على الجيش الثالثة فقام عثمان بن عفان وقال :

ـ يا رسول الله على ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض .

وجاء عثمان بن عفان بألف دينار فصبها فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل النبى عليه الصلاة والسلام يقلبها بيديه ويقول :

ـ ما ضر عثمان ما عمــل بعــد هــذا اليوم . ما ضر عثمان ما عمــل بعــد هــذا اليوم . ما ضر عثمان ما عمل بعــد هــذا اليوم . وترامى إلى مسمع عثمان بن عفان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ من جهز جيش العسرة غفر الله لــه .

لقــد اشترى ذو النورين الجنة من قبل يوم أن اشترى (حفر) بئر رومة لم لا يشترى الجنة مرة ثانية ويجهز جيش العسرة (غزوة تبوك) ؟

انطلق ذو النورين إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجــد

سعد بن أبي وقاص وعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عـوف فقال لهم :

— أنشدكم بالله هـل تعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : من جهـز جيش العسرة غفر الله لـه (فله الجنة) ؟

قالـوا : اللهم نعم ..

فجهزهم عثمان بالخيل والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— اللهم لا تنس لعثمان ما عمل بعـد هـذا اليوم .

ثم قال صلى الله عليه وسلم :

— اللهم اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر وما أخفى وما أعلن وما أسر وما أجهر .

ونظر النبى عليه الصلاة والسلام إلى ذى النورين وأردف :

— غفر الله لك يا عثمان ما قـدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما كان منك وما هـو كائن إلى يوم القيامة .

ثم قال عليه الصلاة والسلام :

— بارك الله لك يا أبا عمرو فى مالك وغفر لك ورحمك وجعل ثوابك الجنة .

ولمـا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبـوك مرضت ابنته أم كلثوم .. ثم ماتت فحزن عثمان بن عفان حزنا شديدا فلما رأى النبى عليه الصلاة والسلام حزنه قال له :

— زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته وما زوجته إلا بوحى من الله .

كان ذو النورين يرى أن صهره واتصاله بالنبى عليه الصلاة والسلام قـد انقطع فلزمه الحزن . ويقول على بن أبى طالب :

— سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان : لو كان لى أربعـون ابنة زوجتك واحـدة بعـد واحـدة حتى لا يبقى منهن واحـدة .

وقال صلى الله عليه وسلم :

ـ سألت ربى عز وجل الا يدخل النار أحـدا صاهر إلى أو صاهرت إليه .

وحث النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فقال :

ـ الا أبو أيم الا أخـو أيم يزوجها عثمان ؟ ولو كن عشرا لزوجتهن ، وما زوجته إلا بوحى من السماء .

نبـوءة رسول الله .. ومقتل عثمان :

لقـد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب عثمان بن عفان وقـد تنبأ بمقتله .. يقول أوس بن أوس الثقفى :

ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينما أنا جالس إذ جاءنى جبريل فحملنى فأدخلنى جنة ربى فبينما أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة فانفلقت التفاحة نصفين فخرجت منها جارية لم أر جارية احسن منها حسنا ولا أجمل منها جمالا تسبح تسبيحا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله فقلت : من أنت يا جارية ؟ قالت : أنا من الحور العين خلقنى الله تعالى من نور عرشه . فقلت : لمن أنت ؟ فقالت : أنا للخليفة المظلوم عثمان ابن عفـان .

وقال عقبـة بن عـامر :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة فإذا بقصر من ذهب ودر وياقوت فقلت : لمن هـذا ؟

قالـوا : للخليفة من بعـدك المقتول ظلما عثمان بن عفان .

وتقـول أم المؤمنين عائشة :

ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كيف أنت يا عثمان إذا لقيتنى يوم القيامة وأوداجك تشخب دما فأقول : من فعل بك هـذا ؟ فتقول : بين خاذل وقاتل وآمر ، فبينما نحن كذلك إذ ينـادى منـادى العرش : إن عثمان قـد حكم فى أصحابه .

وتقول عائشة بنت أبى بكر .. أيضا :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عثمان إن الله مقمصك (أى كساك

الله قميصا) قميصا يريدك الناس على خلعه فلا تخلعه فإن أنت خلعته لم ترح رائحـة الجنة .

وكان ذو النورين موضع سر النبي عليه الصلاة والسلام .. فلمـا اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغمى عليه فقالت أم المؤمنين حفصة بنت عمر لعائشة بنت أبي بكر :

ـ أترينـه قـد قبض ؟

قالت عائشة : لا أدرى .

ثم أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : افتحوا له الباب .

فتساءلت حفصة وهي تنظر نحو عائشة : أبوك أو أبي ؟

فقالت عائشة : لا أدرى .

ففتحتا الباب .. فإذا عثمان بن عفان . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ادنه .

فأكب عليه فساره بشيء لم تدر حفصة وعائشة ما هـو ؟ ثم رفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه وتساءل :

ـ أفهمت ما قلت لك ؟

قال ذو النورين : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنه .

فأكب عليه أخرى مثلها فساره ما تدرى حفصة وعائشة ما هـو ؟ ثم رفع رأسه وقال :

ـ أفهمت ما قلت لك ؟

قال عثمان بن عفان : نعم .. سمعته أذناى ووعاه قلبى .

ثم أمره النبي عليه الصلاة والسلام .. فانصرف .

فلقـد كان عثمان له منزلة الرضى من النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم وفاته . فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون عن عثمان :

ـ إنه ممن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهـو عنهم راض .

في عهـد أبي بكر .. وعمـر :

وكان عثمان بن عفان أقرب الناس إلى الخليفة الأول بعـد عمر بن الخطاب فكان يستشيره في كثير من الأمور . ولم يبخل ذو النورين بمـاله والإنفـاق في سبيل الله . فقـد قحط الناس في زمن أبي بكر الصـديق فقال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ لا تمسون حتى يفرج الله عنكم .

فلمـا كان من الغـد جاء البشير إليه فقال :

ـ لقـد قـدمت لعثمان ألف راحلة برا وطعاما .

فغـدا تجار المدينة على قصر عثمان بن عفان فقرعوا الباب فخرج إليهم وتسـاءل :

ـ ما تريدون ؟

قال تجار المدينة : بلغنا أنه قـدم لك ألف راحلة برا وطعاما .

فقال عثمان بن عفان : نعم .

قالـوا : بعنا حتى نوسع على فقراء المدينة .

فقال لهم ذو النورين : كم تربحوني على شرائي من الشام ؟

قال تجار المدينة : العشرة اثنى عشر .

فقال عثمان بن عفان : قـد زادوني .

قالـوا : العشرة أربعة عشر .

قال ذو النورين : قـد زادوني .

قال تجار المدينة : العشرة خمسه عشر .

قال عثمان بن عفان : قـد زادوني .

فنظر تجار المدينة بعضهم إلى بعض وتساءلوا :

ـ من زادك ونحن تجار المدينة ؟

قال ذو النـورين :

ـ زادني بكل درهم عشرة .. هـل عندكم زيادة ؟

من الذي يستطيع أن يجعل الحسنة بعشرة أمثالها غير العزيز العليم ؟
لقـد أدرك تجار المدينة أن عثمان بن عفان يريد ثواب الآخرة فقالوا :

ـ ليس عندنا زيادة .

فقــال عثمان بن عفــان :

ــ فأشهدكم معشر التجار أنها صــدقة على فقراء المدينة •

لقــد كان عثمان سخيا بمــاله فى سبيل الله كما كان سمحا •• فقــد كان ينام فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورداؤه تحت رأسه فيأتى الرجل فيجلس إليه ثم يجىء الرجل فيجلس إليه كأنه أحــدهم •

يقــول ذو النــورين :

ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أدركه الأذان فى المسجد ثم خرج لحاجة وهــو لا يريد الرجعةفهــو منافق •

ويتحــدث عثمان بن عفان عن السماحة فى البيع فيقول :

ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدخل الله الجنة رجلا كان ســهلا بائعــا ومشتريا •

ويقــول ذو النــورين :

ــ كنت أبيــع التمر فى السوق فأقــول : كلت فى وسقى هــذا كذا فأدفــع أوساق التمر بكيلة وآخــذ شفى ــ ربحى ــ فدخلنى من ذلك شىء فسألت النبى عليه الصلاة والسلام فقال : اذا سميت الكيل فكله •

ولــما ثقل أبو بكر دعا عثمان بن عفان فجلس بجانبه علي سريره فقال له :

ــ أخبرنى عــن عمــر •

فقــال ذو النــورين :

ــ أنت أخبرنا به •

ودخل عليه بعض الصحابة فقال لــه قائل منهم :

ــ يا خليفة رسول الله ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقــد ترى غلظتــه ؟

فقــال أبو بكر الصــديق :

ــ بالله تخوفنى ؟ أقول : اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك • أبلغ على ما قلت من وراءك •

ثم قال لذي النورين :
ـ اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا .

ثم راح في غيبوبة الموت .. فلما أفاق من تلك الغشية سأل عثمان بن عفان :
ـ من كتبت ؟
قال ذو النورين : عمر .

لقد كتبها وهو يعلم أنه لا يعدو بها نية الخليفة المحتضر فإن أفاق أتم عهده كما أراد وإن مات في تلك الغشية بطلت اللجاجة فيما أراد وانسد باب الفتنة والخلافة .

نظر أبو بكر إلى عثمان بن عفان نظرة المستريح إلى أمانة كاتبه وقال :
ـ بارك الله فيك بأبي أنت وأمي لو كتبت نفسك كنت لها أهلاً .

كان الصديق يرى في ذي النورين أنه أهل للخلافة وإن رأى أن الفاروق عمر أحق بها منه .

ولما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال :
ـ أيها الناس إني عهدت عهداً أفترضون به ؟
فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله .
فقام علي بن أبي طالب فقال : لا نرضى إلا أن يكون عمر .
فقال أبو بكر : فإنه عمر .

ولما بايع الناس عمر بن الخطاب كان عثمان بن عفان أقرب الناس إلى أمير المؤمنين عمر فركن إليه في طلب المشورة وعمل بمشورته في إحصاء الناس والأعطية وفي بدء السنة بشهر المحرم ..

ولما طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب .. جعل الفاروق أمر الخلافة في ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من رضي النبي

عليه الصلاة والسلام عنهم قبيل وفاته وكان هؤلاء النفر الكرام المرضى عنهم هم ملتقى الآراء بين خاصة المسلمين وعامتهم فلا يسمون خليفة إلا كان واحدا من هؤلاء : على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ..

وانحصرت الخلافة بين على وعثمان فلقى عبد الرحمن بن عوف على بن أبى طالب فقال له :

- تقول يا أبا الحسن أنى أحق من حضر بهذا الأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد فى نفسك ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به ؟
قال أبو الحسن : عثمان .

ولقى عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان فقال له :
- إنك تقول : شيخ من بنى عبد مناف وصهر رسول الله وابن عمه ولى سابقة وفضل فأين يصرف هذا الأمر عنى ؟ ولكن لو لم تحضر من كنت ترى من هؤلاء ؟

قال ذو النورين : على .

ولما بايع الناس عثمان بن عفان بايعه على وقال :
- كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين .

وقال عبد الله بن مسعود :
- بايعنا عثمان بن عفان ولم نأل .

وقد بويع عثمان بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاث ليال .

خلافته :

كانت بيعة أمير المؤمنين عثمان فى شهر المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة وفيها عزل ذو النورين المغيرة بن شعبة الثقفى عن الكوفة واستعمل سعد بن أبى وقاص عليها بوصية عمر :
- أوصى الخليفة بعدى أن يستعمل سعدا فإنى لم أعزله عن سوء ولا خيانة .

فكان سعد بن أبي وقاص أول عامل بعثه أمير المؤمنين عثمان بن عفان . وفي هذه السنة فتحت الري وكانت فتحت وانتقضت ، وفي هذه السنة أصاب الناس رعاف شديد لها : سنة الرعاف ، وأصاب أمير المؤمنين عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى . وفيها فتح من الروم حصون كثيرة .

وفي سنة خمس وعشرين عزل ذو النورين سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط (كان عقبة من ألد أعداء النبي عليه الصلاة والسلام في مكة وقتل يوم بدر) والوليد (نزل فيه قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** » أخو عثمان بن عفان لأمه وقد صلى الوليد بالناس الصبح وهو سكران ثم التفت إليهم وتساءل :

— أزيدكم ؟

وكان نقش أمير المؤمنين عثمان خاتمه « آمنت بالله مخلصا » .

وجاءت الفتوحات الإسلامية العريضة في عهد ذي النورين ففتحت سابور وقبرص و .. أرجان ودرابجرد فتدفقت الأموال على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح الناس في خير عميم وعز مقيم .

يقول ابن سيرين :

— كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها (أي دراهم) وفرس بمائة ألف درهم ونخلة بألف درهم .

وقال الحسن البصري :

— شهدت منادي عثمان ينادي : يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم .

فيغدون ويأخذونها وافرة ..

— يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم .

فيأخذونها وافية ..

— يا أيها الناس اغدوا على كسواتكم .

فيأخذون الحلل .

— يا أيها الناس اغدوا على السمن والعسل . أرزاق دارة وخير كثير .

وتوالت الفتوحات الإسلامية ففتحت جور وبلاد كثيرة من أرض خراسان •• وكثر الخراج على أمير المؤمنين عثمان ، وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ له الخزائن وأدر الأرزاق وكان يأمر للرجل بمائة ألف ••

جمع القرآن •• ومصحف عثمان :

وجاءت الفتوحات العريضة بالثراء الطارئ والدنيا الحافلة بالإغراء والاختلاط بين أجناس مختلفة تمخضت عن مشاكل كثيرة على الرغم من أن الإسلام كان ينشر عدله ورحمته على تلك البلاد • فبعد أن أصبح القرآن كتاب شعوب كثيرة لكل منها لهجته ولسانه فقد أمسى الاختلاف فى قراءته مصدر خطر عظيم ، وهو خطر يهدد وحدة الدولة الجديدة المنتشرة فى مشارق الأرض ومغاربها أكثر مما يهدد القرآن ذاته فكتاب الله قد تكفل بحفظه « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » فقد شهد كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان خلافا مفزعا بين أهل الشام وأهل العراق • فقد كان أهل الشام يقرءون على قراءة المقداد ابن عمرو وأبى الدرداء • وكان أهل العراق يقرءون على قراءة عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى • وتعصب كل من الطائفتين لقراءته وكاد الخلاف أن يكون نزاعا •• فصداما •• فانطلق حذيفة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع القضية بين يدى أمير المؤمنين عثمان •• ثم قال :

— يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف فى كتابها كما اختلف الذين من قبلهم فى كتبهم • ولم يتوان ذو النورين لحظة فأرسل إلى الصحابة وأخبرهم فأعظموه وقرر أمير المؤمنين عثمان أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع المسلمين فى عهده وإلى أن تقوم الساعة على قراءة واحدة فبعث ذو النورين إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر وقال لها :

— أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها •

وكانت هذه الصحف هى التى كتبت فى أيام أبى بكر •• ثم استدعى أمير المؤمنين عثمان زيد بن ثابت الأنصارى وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث وشرح لهم مهمتهم وأوصاهم إذا اختلفوا فى شىء أن يكتبوه بلغة قريش فإنما نزل بلسانهم •• ففعلوا • ولما نسخوا الصحف ردها ذو النورين إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر • ثم أمر أمير المؤمنين

عثمان أن ينسخ عدداً من المصاحف ، وأرسل إلى كل أفق بمصحفه (مصحف عثمان) وحرق ما سوى ذلك وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك .

وراح الناس يمتدحون الخليفة الثالث لما بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم — أوسع وزاد فى مساحته — فلما أكثروا عليه قال :

— إنكم أكثرتم على وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً فى الجنة .

ويقول ذو النورين :

— كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال :

— استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل .

أصعب خلافة تولاها خليفة :

وكان من الممكن أن تدوم هذه الحال وتزداد الحياة فى عهد ذى النورين طيباً ونفعاً لولا الفتوحات الواسعة العظيمة ، فقد أدخلت إلى النفوس الفساد ، والفتن ، ولقد حذر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه وكأنه صلى الله عليه وسلم يستشف من وراء الحجب تلك الانعكاسات المنذرة الخطيرة .

يقول أسامة بن زيد :

— أشرف النبى عليه الصلاة والسلام على أطم (مرتفع) من آطام المدينة وقال :

هل ترون ما أرى ؟

فقال أصحابه الذين كانوا معه : لا .

قال : فإنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر .

وقال عبد الله بن عمر :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مشت أمتى المطيطاء (الخيلاء) وخدمتها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها .

ولقد تم ذلك فى عهد الخليفة الثالث ، فقد شهد مقدم عهده سيل الفتن حمله إليه أهل الأمصار وشراذم من شذاذ القبائل وجفاة الأعراب مشت بينهم الرسل وتلاقت أهواؤهم على الفتنة فقد عتبوا (عيبوا) على

أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه استعمل أقرباءه ، فكان بالشام معاوية بن أبى سفيان وبالبصرة سعيد بن العاص وبمصر عبد الله بن أبى سرح وبخراسان عبد الله بن عامر ، وكان من حج منهم يشكو من أميره . وكتب ذو النورين لوزيره ومستشاره مروان بن الحكم بخمس خراج أفريقيه وأعطى أقرباءه المال وقال :

ـ إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإنى آخذته فقسمته فى أقربائى .

فكره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن عثمان كان يحب قومه (بنى أمية) ممن لم يكن لهم مع النبى عليه الصلاة والسلام صحبة فكان يجىء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، وكان ذو النورين يستعتب فيهم فلا يعزلهم (وذلك سنة خمس وثلاثين) فلما كان فى الست الأواخر استأثر بنى عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله .. وجاء أهل مصر يشكون عبد الله بن أبى سرح ويتظلمون منه (كان قبل ذلك من عثمان هناة إلى عبد الله بن مسعود وأبى ذر الغفارى وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنوزهرة فى قلوبهم ما فيها لحال عبد الله ابن مسعود ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبى ذر فى صدورهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر) فكتب ذو النورين إلى عبد الله بن أبى سرح كتابا يتهدده فيه ، وفى الواقع أن عثمان كان لين العريكة متسامحا كثير الإحسان والحلم فأبى عبد الله بن أبى سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله .

فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوا إلى الصحابة فى مواقيت الصلاة ما صنع عبد الله بن أبى سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بن عفان كلاما شديدا وأرسلت أم المؤمنين عائشة إليه فقالت :

ـ تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل الرجل (ابن أبى سرح) فأبيت ؟ فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم عن عاملك .

ودخل على أمير المؤمنين عثمان على بن أبى طالب ليحدثه فى شأن عماله وأقاربه الذين ملأوا البلاد فسادا فقال ذو النورين :

ـ أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك . أتراني جئت

منكرا إذ وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمـــر يولى ؟

فقال على بن أبى طالب : نعم •

قال عثمان بن عفان : فلم ألام إذا وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته ؟

قال على بن أبى طالب :

ــ إن عمر كان إذا ولى أحـــدا فإنما يطـــأ على صماخيه فإن بلغـــه شىء جاء به وبلغ فى زجره أقصى الغاية أما أنت فلا تفعل فقـــد ضعفت ورفقت بأقـــاربك ••

فقال أمير المؤمنين عثمان : هم أقاربك أيضا يا على •

فقال على بن أبى طالب :

ــ نعم إن رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم •

فتساءل عثمان بن عفـــان :

ــ ألم تعلم أن عمر ولى معاوية طوال عهده وخلافته فهل ألام إن أنا وليته ؟

فقال على بن أبى طالب :

ــ فهل تعلم أن معاوية كان أخـــوف من عمر من يرفأ غـــلام عمر ؟

فقال أمير المؤمنين عثمان : نعم كان كذلك •

فقال أبو الحسن :

ــ فها هـــو يقطع الأمور دونك وأنت لا تنهاه • وها هم أهـــل مصر يسألونك رجـــلا مكان رجـــل وقـــد ادعوا قبله دما فاعزله (عبد الله بن أبى سرح) عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حـــق فأنصفهم منه •

فقال أمير المؤمنين عثمان لأهـــل مصر :

ــ اختاروا رجـــلا أوليه عليكم مكانه •

فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر فقالوا :

ــ استعمل علينا محمد بن أبى بكر •

فكتب ذو النورين عهــده وولاه ، وخرج محمد بن أبى بكر ومن معــه فلمــا كان على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هم بغلام أســود على بعير يخبط للبعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب •

فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ــ ما قصــتك ؟ كأنك هــارب ،
ــ ما وراءك ؟ وما شــأنك ؟ كأنك طالب •

فقال لهم : أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر •

فقال له رجل من أهــل مصر وهو يشير إلى محمد بن أبى بكر :
ــ هــذا عــامل مصر •
فقال غــلام أمير المؤمنين : ليس هــذا أريد •

و'أخبر بأمره محمد بن أبى بكر فبعث فى طلبه رجلا فأخــذه فجاء به إليه فقال محمد بن أبى بكر :
ــ غــلام من أنت ؟

قال الغلام الأسود : أنا غــلام أمير المؤمنين •

ومرة أخرى قال : أنا غــلام مروان بن الحكم •

حتى عرفه رجــل أنه لعثمان • فسأله محمد بن أبى بكر :
ــ إلى من أرســلت ؟
قال الغــلام الأسود : إلى عامل مصر •
قال محمد بن أبى بكر : بمــاذا ؟
قال غــلام عثمان : برســالة •
قال محمد بن أبى بكر : معــك كتــاب ؟
قال الغــلام الأسود : لا •

ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه إداوة قــد يبست فيها شىء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة (القربة) فإذا فيها كتاب من أمير المؤمنين عثمان إلى ابن أبى سرح ، فجمع محمد بن أبى بكر من كان معــه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : إذا أتاك

فلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إلى بتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى .

فلما قرأوا الكتاب فزعوا .. ورجعوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعلى بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص ومن كان من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام الأسود وأقرءوهم الكتاب .. فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على أمير المؤمنين عثمان بن عفان . وزاد ذلك من كان غضب لعبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر حنقا وغيظا . وقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهم مغتم لما قرأوا الكتاب .

وجاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوما جلوسا فقال :

— من هؤلاء القوم ؟

فقالوا : هؤلاء قريش .

فتساءل الرجل : فمن الشيخ فيهم ؟

قالوا : عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قال الرجل :

— يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه : هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟

قال عبد الله بن عمر : نعم .

قال الرجل : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟

قال عبد الله بن عمر: نعم .

قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟

قال عبد الله بن عمر : نعم .

قال الرجل وكأنه عثر على ضالته : الله أكبر .

فقال عبد الله بن عمر :

— تعال أبين لك : أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له .

وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له النبى عليه الصلاة والسلام : ان لك لأجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه • وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال : هذه لعثمان •

وجلس المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود فقالا :

— ما يمنعنا أن نكلم عثمان لأخيه الوليد بن عقبة بن أبى معيط فقد أكثر الناس فيه •

فقصدا عثمان بن عفان حتى خرج إلى المسجد فقال المسور بن مخرمة :

— يا أمير المؤمنين إن لى إليك حاجة وهى نصيحة لك •

قال ذو النورين : يا أيها المرء منك (أعوذ بالله منك) •

ثم تساءل : ما نصيحتك ؟

قال المسور بن مخرمة :

— إن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت هديه وقد أكثر الناس فى شأن الوليد بن عقبة •

فقال عثمان بن عفان : أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال المسور بن مخرمة :

— لا ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء فى سترها •

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان :

— أما بعد فقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين كما قلت ، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت أفليس لى من الحق مثل الذى لهم ؟

فقال المسور وعبد الرحمن بن الأسود : بلى ..

فقال عثمان بن عفان :

ــ فما هــذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخــذ فيه بالحــق إن شاء الله .

ثم دعا أمير المؤمنين عثمان على بن أبى طالب فأمره بجلد الوليد بن أبى معيط .. فجلده ثمانين جلدة . وأجلب محمد بن أبى بكر على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رهطه (بنى تيم) وغيرهم وحاصروا عثمان فلمــا رأى ذلك على ابن أبى طالب بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدرى (شهدوا بدرا) ثم دخــل على عثمان بن عفان ومعــه الكتاب والغلام الأسود والبعير فقال لــه على :

ــ هــذا الغــلام غــلامك ؟

قال ذو النورين : نعم .

قال أبو الحسن : والبعير بعيرك ؟

قال أمير المؤمنين عثمان : نعم .

فتساءل على بن أبى طالب : فأنت كتبت هــذا الكتاب ؟

قال عثمان بن عفــان : لا .

وحلف بالله ما كتب هــذا الكتاب ولا أمر به ولا علم له به .. فقال أبو الحسن :

ــ فالخــاتم خاتمــك ؟

قال أمير المؤمنين عثمان : نعم .

فتساءل أبو الحسن :

ــ فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟

فحلف ذو النورين أنه ما كتب هــذا الكتاب ولا أمر به ولا وجه هــذا الغلام إلى مصر قط .. وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان بن الحكم . وشكوا فى أمر عثمان وسألوه أن يدفــع إليهم مروان بن الحكم فأبى وكان مروان

عنده فى الدار . فخرج الصحابة من عنده غضابا وشكوا فى أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن أقواما قالوا :

ـ لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان بن الحكم نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق ؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبته على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا فى أمر مروان .

ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشى عليه القتل .

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب :

ـ لقد عتبوا (عيبوا) على عثمان أشياء ولو فعلها عمر ما عتبوا عليه .

لقد كان ثالث الخلفاء مفرط الحياء متسامحا ، ولكنه لم يبرئ عماله من الخطأ مما جعل الذين أثاروا الفتنة لوجه الفتنة يروجون إشاعات كاذبة خبيثة حول تصرفات ذى النورين المالية فزعموا أنه زوج ابنته من ابن مروان وزوج ابنه من ابنة الحارث بن الحكم ، وجهزهما من بيت مال المسلمين ، وفى الحقيقة أنه جهزهما من خالص ماله الوفير (كان ماله واسعا وفيرا فى الجاهلية والإسلام) .

واتخذ المرجفون فى المدينة وفى الأمصار من هذه المسائل المالية موضوعا خصبا لأخيلتهم التى تصنع البهتان وتنسج الأكاذيب .

وصارت النصيحة الخالصة الأمينة الهادئة التى يسديها صحابى جليل لأمير المؤمنين عثمان تتحول على لسان من حوله وبطانته إلى قذف وسباب . وكلمات العتاب التى يرسلها ذو النورين فى حياء وأناة على شفاه الشانئين إلى وعيد وتهديد .. فتأججت نيران الغضب فحاصر شراذم مسلحة من أهل الكوفة والبصرة ومصر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صفته :

كان عثمان بن عفان رجلا ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها أسمر اللون كثير الشعر ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب .

عـــدله :

غضب أمير المؤمنين عثمان يوما ففرك أذن عبد له .. ثم ناداه وقال له

ـ إني كنت عركت أذنك فاقتص مني .

فأخـــذ العبد بأذن ذي النورين فقال عثمان :

ـ اشدد يا حبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة

وقـــدم عمر بن الخطاب مكة فدخل دار الندوة في يوم الجمعة وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد فألقى رداءه على واقف في البيت فوقع عليه طير من الحمام فأطاره فانتهزته حية فقتلته . فلمـــا صلى أمير المؤمنين عمر دخل عليه نافع بن عبد الحارث وعثمان بن عفان فقال الفاروق :

ـ احكما على في شيء صنعته اليـــوم .

فقالا : ماذا صنعت يا أمير المؤمنين ؟

قال عمـــر بن الخطاب :

ـ أني دخلت هـــذه الدار وأردت أن استقرب منها الرواح إلى المسجد فألقيت ردائي على هـــذا الواقف فوقع عليه طير من هـــذا الحمام فخشيت أن يلطخه بسلحه فأطرته عنه فوقع على هـــذا الواقف الآخر فانتهزته حية فقتلته فوجـــدت في نفسي أني أطرته من منزل كان فيـــه آمنا إلى موقعة كان فيها حتفه فقال نافع بن عبد الحارث لعثمان بن عفان :

ـ كيف ترى في عنز ثنية عفراء تحكم بها على لأمير المؤمنين ؟

قال عثمان بن عفان : إني أرى ذلك .

فأمر بهـــا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ثقافتـــــه :

كان عثمان من كتاب الوحي (كان على علم بمعارف العرب في الجاهلية ومنها الانساب والأمثال وأخبار الأيام وقـــد ساح في الأرض كتاجر فرحل إلى الشام والحبشة واليمن وعاشر أقـــواما غير العرب فعرف من حياتهم وأحوالهم ما لم يعرفه كل عربي في بلاده) فكان كاتبا يجيد الكتابة وكان من أفقه المسلمين في أحكام الدين وأحفظهم للقرآن والسنة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة مائة وخمسين حـــديثا .

يقــول عبد الرحمن بن حاطب :

ــ ما رأيت أحــداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حــدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث .

ويقــول محمد بن ســيرين :

ــ كان أعلمهم (يعنى صحابة النبى عليه الصلاة والسلام) بالمناسك عثمان وبعــده عمــر .

وروى عنه زيد بن خالــد الجهنى وعبد الله بن الزبير والسائب بن زيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع ، وأبو إمامة الباهلى وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مغفل وأبو قتادة وأبو هريرة وأبان ابن عثمان وعبيد الله بن عــدى وحمران .. وغيرهم ..

وكتب أمير المؤمنين عثمان إلى عماله يقول :

ــ استعينوا على الناس وكل ما ينوبكم بالصبر والصلاة وأمر الله أقيموه ولا تداهنوا فيه وإياكم والعجلة فيما سوى ذلك ، وارضوا من الشر بأيسره فإن قليل الشر كثير واعلموا أن الذى ألف بين القلوب هــو الذى يفرقهــا ويباعــد بعضها عن بعض . سيروا سيرة قــوم يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حجــة .

ومنها كتاب إلى العمال يقول فيه :

ــ إن الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته وقال سبحانه : (لــو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) وهــو مفرقها على معصيته ، ولا تعجلوا على أحــد بحــد قبــل استيجابه فإن الله تعــالى قال : (لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر) ومن كفر داويناه بدوائه ، ومن تولى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى يقطع حجته وعــذره إن شــاء الله .

ومن كتبــه إلى الجبــاة :

ــ أما بعــد فإن الله قــد خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق خــذوا الحق وأعطوا الحق والأمانة الأمانة قــوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهــد فإن الله خصم لمن ظلمهم .

وبعض هـذه الكتب يبدؤه ويختمه بذكر آيات من القرآن تتوالى فى بيان ما يدعوهم إليه وينهاهم عنه • فهى الوصايا التى هى أحرى بحياء عثمان الذى تستحى منه الملائكة •

حصاره .. ومقتله :

حاصر الناس ذا النورين ومنعوه الماء فأشرف عليهم وهو محصور فقال :

ــ السلام عليكم •

فما رد عليه أحد من المتمردين •

فقال الخليفة الثالث :

ــ أنشدكم الله هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة من مالى وجعلت فيه رشائى كرشاء رجل من المسلمين ؟

فقالوا : نعم •

فتساءل ذو النورين :

ــ فعلام تمنعونى ماءها وأفطر على الماء المالح ؟

فلم يرد عليه أحد .. فقال عثمان : أفيكم على ؟

فقالوا : لا

قال ثالث الخلفاء : أفيكم سعد (سعد بن أبى وقاص) ؟

قال الثائرون : لا

فسكت عثمان بن عفان ثم قال : ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء ؟

فبلغ ذلك أبا الحسن فبعث على بن أبى طالب إليه بثلاث قرب مملوءة ماء • وغضب الرجل الحليم فقال للمتمردين :

ــ أما والله لقد عبتم على بما أقررتم لابن الخطاب ، ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أوكرهتم • أما أنا فلنت لكم وأوطأت لكم كنفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على •

طفحت كلمات الخليفة الحيى المتسامح الوديع بصديد متقيح تكشف عن جرح أدمى مشاعره •

وحاصر المتمردون عثمان بن عفان شهرين وعشرين يوما ثم تسوروا داره فلمـا بلغ على بن أبى طالب أن عثمان يراد قتله قال :

ــ إنمـا أردنا منه مروان فأما قتـل عثمان فلا •

وقال لابنيه الحسن والحسين :

ــ اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحـدا يصل إليه ••

وبعث الزبير بن العـوام ابنه عبد الله ، وبعث طلحة بن عبيد الله ابنه وبعث عـدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعـون المتمردين أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ولكنه أبى أن يدفـع للثوار ابن عمـه مروان بن الحكم • فقيل له :

ــ ألا نقـاتل ؟

فقـال ذو النـورين :

ــ لا ••• إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهدا وأنا صابر نفسى عليه •

يقـول أبو هـريرة :

ــ إنى لمحصور مـع عثمان فى الدار فرمى رجل منا فقلت : يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا • قال : عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك فانما تراد نفسى وسأقى المؤمنين بنفسى •

قـال أبو هـريرة :

ــ فرميت سيفى لا أدرى أين هـو حتى الساعة ؟

قالت امرأة ذى النورين (نائلة) للمتمردين :

ــ إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل بركعة يجمع فيها القرآن •

وتسور محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على أمير المؤمنين عثمان ولا يعلم أحـد ممن كان معـه (كل من كانوا معـه كانوا فـوق البيوت) ولم يكن معـه إلا امرأته نائلة فقال محمد بن أبى بكر لصـاحبيه :

ــ مكانكما فإن معـه امرأته حتى أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخـلا فتوجـآه حتى تقتلاه •

فدخل محمد بن أبى بكر فأخذ بلحية عثمان فقال له :

ـ والله لو رآك أبوك لساءه مكانك منى • دعها يا ابن أخى والله لقد كان أبوك يكرمها •

فتراخت يد محمد بن أبى بكر واستحيا وخرج • فدخل صاحباه (رومان ابن سرحان ومعه خنجر فاستقبله به) وقال :

ـ على أى دين أنت يا نعثل ؟ (كان المتمردون يسمون عثمان بن عفان نعثلا تشبها برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل ـ وقيل النعثل الشيخ الأحمق) •

فقال ذو النورين :

ـ لست بنعثل ولكنى عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين •

قال رومان بن سرحان : كذبت •

وضربه على خده الأيسر فقتله فخر على الأرض • وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة • ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا فقال (جبلة بن الأيهم) •

ـ والله لأقطعن أنفه •

فعالج المرأة فكشفت عن ذراعيها وقبضت على السيف فقطع إبهامها •

وسقطت قطرة أو قطرات من دم عثمان على المصحف الذى كان أمامه على قوله تعالى : (**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**) •

وقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وهو ابن ست وثمانين سنة •

وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما •

قتل ذو النورين يوم الجمعة لثمان ليال خلت من ذى الحجة يوم التلبية (التروية) سنة خمس وثلاثين أى على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر بن الخطاب وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

